"لقد أتت الجائحة بتحديات وفرصٍ لمكافحة التطرف"

آمال قرامي هي أستاذة دراسات النوع الاجتماعي في جامعة منوبة، تونس، حيث تبحث في قضايا النوع الاجتماعي والتطرف العنيف في شمال إفريقيا.

1. كيف أثَّرت الجائحة على أبحاثك ودراساتك حول العلاقة بين النوع الاجتماعي والتطرف العنيف؟

أعكف حاليًا على إجراء بحث لكتابي الثاني حول قضية النساء العائدات من المناطق التي كانت تقع تحت سيطرة الجماعات المتطرفة مثل الدولة الإسلامية في العراق وسوريا (داعش). وبسبب الجائحة، لم يعد في إمكاني إجراء بحث ميداني وجمع البيانات. وكنت قد خططت لإجراء مقابلات مع النساء والأُسر التي عادت إلى تونس، لكن هذا الأمر أصبح أكثر صعوبة الآن. وبدلاً من ذلك، أقوم بجمع معلومات ثانوية من الكتب والمقالات، وأقوم بالقراءة أكثر من الكتابة. وعلى الرغم من ذلك، فإنني أواصل العمل والمشاركة في العديد من المؤتمرات الدولية عبر الإنترنت في انتظار أن تسمح لي الظروف مرة أخرى بإجراء البحوث على أرض الواقع والتحدث مباشرة مع النساء العائدات.

2. ما هي التحديات والفرص التي يشكِّلها العمل عبر الإنترنت بالنسبة لعملك؟

من الصعب العمل عبر الإنترنت مع العائدين. فعلى سبيل المثال ، غالبًا ما يخضع الرجال والنساء التونسيون الذين عادوا من المناطق التي كانت تحت سيطرة داعش سابقًا للمراقبة من قبل عائلاتهم وأقاربهم. وكثيرًا ما تشعر النساء العائدات أنهن غير قادرات على التحدث بحرية أو على بناء الثقة مع الشرطة والجهات الحكومية الأخرى. ومن ثمة فإنّه من الصعب بناء علاقة ثقة معهن عبر الإنترنت لأننا لا نستطيع التفاعل وجهًا لوجه. وعلى سبيل المثال، من المهم أن يشعر العائدون/ات أنهم في مكان آمن لبناء الثقة وتبادل

المعلومات وصياغة برامج إعادة تأهيل العائدين. وقد يكون تحقيق ذلك أكثر صعوبة من خلال شبكة الإنترنت.

ومن جهة أخرى، قد يساعد التفاعل خلف ستار بعض النساء على أن يكن أقل خجلًا وأكثر صراحة بشأن تجاربهن مع الجماعات المتطرفة العنيفة. وتتمثل إحدى مزايا التفاعل عبر الإنترنت في أنه لا يتعين على النساء إظهار وجوههن؛ إذ يمكنهن التفاعل معنا دون أن يكن مرئيات. وفي كثير من الأحيان، لا تستطيع هؤلاء النساء الكلام بحرية دون موافقة أسرهن، فقد يتسبب التحدث إلى أحد الباحثين في اتخاذ المجتمع موقفا منهن. وفي العادة ما يكون أحد أفراد الأسرة الذكور حاضرًا أثناء المحادثات المباشرة. ولكن الآن يمكننا التواصل مع العائدات عبر الإنترنت، وهن في منازلهن، مما يحد من شعورهن بالخوف.

3. برأيك كيف أثَّرت الجائحة على التطرف العنيف في تونس؟

للأسف، هناك القليل من الأبحاث التي يتم إجراؤها حول هذه المسألة، كما أنها لا تُناقّش في أي من وسائل الإعلام التونسية. وفي ضوء المعلومات التي قمت بجمعها في المناطق الريفية المتضررة من جائحة كورونا يبدو أن بعض المجموعات تستهدف الشباب بغرض تجنيدهم، مستغلة المظالم السابقة التي لم يتم حلها كدافع للانضمام إليها. وتحاول بعض الجماعات المتطرفة الاستفادة من الحركات الاجتماعية الجديدة في تونس للتجنيد. كما يحاولون استقطاب بعض الأسر والنساء والشباب من خلال تزويدهم ببعض الاحتياجات الأساسية مثل الطعام . ومن خلال إظهار التعاطف مع بعض الفئات المهمّشة، تمكنت الجماعات المتطرفة من استغلال هذا السياق الحالي. كما أن الأشخاص باتوا يقضون وقتًا أطول على الإنترنت، مما يخلق فرصًا للجماعات المتطرفة لتوسيع نطاق مساعيها للتجنيد.

4. برأيك كيف يمكن للفئات المهمشة والنساء أن تكون أكثر عرضة للوقوع في براثن المخططات المتطرفة؟

في تونس، ثمّة صلة بين العنف ضد المرأة والتطرف العنيف؛ حيث تستهدف الجماعات المتطرفة النساء المستضعفات اللواتي يواجهن صعوبات. وخلال الجائحة، فقدت العديد من النساء وظائفهن، وهن في حاجة إلى المساعدة للبقاء على قيد الحياة. وخلال الجائحة أيضًا، ازداد العنف المنزلي والعنف القائم على النوع الاجتماعي بشكل كبير؛ مما دفع ببعض النساء إلى التماس الحماية من الجماعات المتطرفة، لاسيما وأن الحكومة لا تأخذ هذا النوع من العنف على محمل الجد. كما أن الجمعيات المعنية بقضية العنف القائم على النوع الاجتماعي في تونس عددها ضئيل للغاية، وعملها محدود ويكاد يقتصر على المناطق الحضرية. وفي المناطق الريفية، لا سيما على الحدود الجزائرية الليبية، لا توجد خدمات للنساء الناجيات من العنف. فيصبح السبيل الوحيد للبقاء بالنسبة لبعضهن هو حماية الجماعات المتطرفة لهن.

5. ما هي الآثار التي ستخلفها الجائحة على التطرف العنيف على المدى البعيد، وبرأيك كيف يمكننا مكافحتها أثناء الجائحة وبعدها؟

في ظل تفاقم الجائحة، نتوقع أن يفقد المزيد من الناس وظائفهم ودراستهم وسيصبح المهمشون أكثر عرضة للعنف والتطرف، وتستغل بعض الجماعات المتطرفة العنيفة هذا الأمر. ومن ثم، يتعين علينا بذل المزيد من الجهد لتحصين المهمشين والضعفاء ضد الجماعات والأيديولوجيات العنيفة.

على سبيل المثال، تم بالفعل تهميش النساء التونسيات العائدات وتركن لمصيرهن. وجعلت جائحة كورونا عثور النساء على شخص يتحدثن إليه أمرًا أكثر صعوبة بسبب إجراءات التباعد الاجتماعي والإغلاق؛ حتى أن العديد من النساء لا يستطعن الوصول إلى الخدمات التي تهدف إلى إعادة إدماجهن في المجتمع، مما أدى الى الشعور بالعزلة، و قد يدفع هذا الوضع بعضهن إلى الاعتقاد بأنه سيكون من الأفضل العودة إلى ليبيا أو غيرها من بؤر التوتر.

وأرى أنّ على المجتمع المدني ان يكيف خدماته مع الفئات الهشة، بما في ذلك النساء. هناك العديد من الأمور التي لا يزال بإمكاننا القيام بها عن بُعد، فيمكننا تقديم الخدمات النفسية عبر الهاتف، ويمكننا إنشاء آليات للإبلاغ عن خطاب الكراهية على وسائل التواصل الاجتماعي.

كما ينبغي ضمان استمرار الجهود المبذولة لمنع التطرف العنيف أثناء جائحة كورونا وبعد انتهائها. ويتعين على الحكومة بناء شراكات واستراتيجيات مع المجتمع المدني والجهات الفاعلة الأخرى لمواجهة التحديات الجديدة التي أتت بها الجائحة، ومساعدة الفئات الأكثر تهميشًا وضعفًا بيننا، بما في ذلك النساء. ومما يُؤسف له أن المساعدات الاجتماعية لا تكون دائما مراعية لاعتبارات النوع الاجتماعي. فعلى سبيل المثال، تقوم الحكومة التونسية بتوزيع المساعدات على بعض الأسر لتخفيف معاناتها خلال الجائحة لكن الرجال في الغالب، هم الذين يتلقون الدعم المالي لأنهم يعتبرون معيلين للأسر، وبذلك تواجه العديد من النساء العوز والخصاصة ولا أحد يفكّر فيهنّ. ولذا يجب على الحكومة أن تعيد النظر في قوانينها وسياساتها لإعطاء الأولوية للنساء المستضعفات ضمانا لعدم وقوعهن ضحايا للفقر أو لمخططات المتطرفين.

على مدى السنوات الماضية ، شاركت هيئة الأمم المتحدة للمرأة والمديرية التنفيذية لمكافحة الإرهاب في إنشاء منصة خبراء حول النوع الاجتماعي ومنع ومكافحة التطرف العنيف في شمال إفريقيا. لجائحة كوفيد آثار سلبية على الأبحاث ، وعلى أعمال المجتمع المدني والحكومات في منع التطرف العنيف. لتسليط الضوء على عواقب الجائحة على التطرف العنيف في شمال إفريقيا ، أرادت هيئة الأمم المتحدة للمرأة والمديرية التنفيذية للجنة مكافحة الإرهاب السماع من بعض أعضاء المنصة لفهم كيف غيّر الوباء عملهم.

تعرف على منصة الخبراء حول النوع الاجتماعي ومنع ومكافحة التطرف العنيف في شمال إفريقيا واقرأ مقابلات الخبراء الآخرين بعض